مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد السابع
1990 م

- واقع البحث العلمي ومشكلاته
- قصة دخول الإسلام إلى رواندا
- صورة المسيحية في دراسات غربية
- مفاهيم أساسية في فكر مالك بن نبي
- التراث الإسلامي والاستشراق

الآيات الشيطانية

بين

الرواية التاريخية المختلقة و الحقيقة العلمية الموثقة

الدكتور : شوقي أبو خليل

أصبح من المعروف أن الاستشراق ـ وكذلك التبشير ـ يكرِّر نفسه على رأس كلِّ جيل، فالمخطَّط القديم ـ الجديد يركِّز على محاربة الإسلام، وتوجيه الافتراءات والشُّبَه حوله، وحول رسول الله ﷺ، وحول تاريخ الإسلام وأعلامه، مع تشويه الإسلام في نظر النَّصارىٰ لحجبهم عن حقائقه، وتحذيرهم من (خطر) الاستسلام له، والعمل بجد لتنصير المسلمين عن طريق التَّبشير، الَّذي وضع الاستشراق خدماته بين يديه.

يقول اللُّورد البريطاني المسلم هِدْلي[1]: «إنَّه لمن المحزن حقّاً أنَّنا نجد

(1) هو اللورد هِدْلي الملقَّب بسيف الرحمن رحمة الله فاروق، رئيس الجمعية الإسلاميَّة البريطانية، والمتوفى بلندن في يونيه 1935 م عن إحدى وثمانين سنة، تخرَّج في جامعة كمبردج، وكان اللورد رحمة الله رجلاً واسع الأفق، ذكي الفؤاد، حصيف الرأي، عالي الهمة، قوي العزيمة، لم يدخر جهداً ولا مالاً في سبيل نشر الإسلام، حتَّى لقد قام في سن السبعين برحلات إلى مصر وجنوب إفريقية والهند في سبيل الدين.

كثيراً من المبشّرين وغيرهم من رجال الدين المسيحي، يتعمّدون عَرْضَ ديننا الحنيف على النَّاس في صورة مشوّهة، كم قيل لي في أثناء الحديث: إنكم تعبدون محمداً، وتتزوجون أربعاً، أو إنكم تعتقدون أن النِّساء ليست لهن أرواح، ولا يباح لهن دخول المسجد، هذه الأقوال تقال لي بنيَّةٍ حسنةٍ، ومقصدٍ بريء، ولكنها تدل أبلغ دلالة على مدىٰ الدِّعايات المُضَلِّلَة، والمفتريات الزَّائفة الشائعة بين النَّاس، وإنَّه لمن الخِسَّة والدَّناءة، أن يحاول المرء عامداً ترويج معتقداته الدينيَّة بافتراء الأكاذيب على دين غيره»[2].

لقد روَّجت الكنيسة البريطانية مع مطلع هذا القرن لكتاب عنوانه: (أحلام المرأة ورسالتها)، للآنسة لورا هيلين سوبريدج، صُدِّر برعاية أسقف لندن، الَّذي وصفه في المقدِّمة بأنَّه كُتَيِّب جميل، وأوصىٰ الأُمَّة والكنيسة بقراءته، ومما قالته لورا هيلين سوبريدج في هذا الكتاب: «انظر إلى هذا التَّهديد الفظيع، والإنذار الرَّهيب، إن هلال النَّبي يرفرف على 222 مليون[3] من الجنس البشري، ويسعىٰ جاهداً للسَّيطرة على الأمم ضد صليب المسيح، إن هذا الهلال الذي يشبه السَّيف المقوَّس، يمثِّل بحق الرُّوح العالميَّة الَّتي حملت الناس على اتباع الدِّين بحد السَّيف، ذلك الدِّين الَّذي ينزع إلى حبِّ المادة والشَّهوات»[4].

كتاب ضمَّ بين دفَّتيه مفتريات عن الإسلام، وأقوالاً مجحفة في حقِّ رسول الله ﷺ، وإنه لمن دواعي الأسف أنَّه ليس الجهل وحده هو الَّذي حجب أنظار أهل الغرب عن مشاهدة أنوار المصطفى ﷺ، بل ران على قلوبهم ما

---

(2) المثل الأعلى في الأنبياء، تأليف خوجه كمال الدين، عرَّبه أمين محمود الشَّريف، قدَّم له اللورد هِدْلي، طبعة دار الفكر المعاصر ـ بيروت، ص 18.

(3) هذا الرقم يمثِّل عدد المسلمين مع مطلع القرن العشرين، وهم اليوم قرابة مليار مسلم.

(4) المثل الأعلى في الأنبياء، ص 21.

كانوا يكسبون من افتراء الكذب، وتحريف الوقائع، وكتمان الحقائق، وكلما ظهر في أوروبا أحد المنصفين ممن لا يخشون في الحقِّ لومة لائم، وقفت الأقلام الموظَّفة في وزارة المستعمرات تلوم وتخطِّىء، حتَّى وُصِفَ المؤرخ الانكليزي جيبون[5] بأنه كاتب وثني، لأنَّه أثنىٰ على النَّبيِّ ﷺ، وقال كلمة الحقِّ عن حال المسيحية وقت مبعثه، مما لم يَرُق في نظرهم.

ولما جاء كارليل[6]، وكشف النِّقاب عن الجمال المحمدي وجَلَّاه لأعين الغربيين، هبَّت في وجهه القيحة القديمة بعنف، حتَّى اضطر عميد جامعة ادنبرة[7] أن يذعن لها، واضطر على الرَّغم من قوة شكيمته أن يخفف من لهجة ثنائه فيما بعد، ولكنه على كلِّ حال فتَّح أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمَّاً. وأعقب كتاب كارليل (الأبطال)، ما كتبه هجنز وديفونبرت وبوزورت سمث في انكلترا، وكرهل وجريمنس في ألمانية، وكيتا في إيطالية، الَّذي يرى علماء الغرب أنَّه هدم الدَّعاوىٰ المتكرِّرة الَّتي يحتج بها النَّصارى على الإسلام، وجملة القول أن نظرة الغرب إلى النَّبيِّ ﷺ قد تغيَّرت، فلم يعد في نظر الغرب دجَّالاً بل مصلحاً عظيماً، ولم يعد مُصَاباً بمرض عصبي، يشكو من الصَّرَع، بل رجلاً ذا شخصيَّة عظيمة، وعزيمة ماضية، ولم يعد ملكاً مستبداً يسعىٰ وراءَ مآربه الشَّخصيَّة، بل حاكماً مستنيراً يغمر الرَّعيَّة بحبِّه وفضله، ولم يعد رجلاً وصولياً، بل نبياً ذا مبدأ ثابت لا يحيد عنه ولا يتزحزح، كلُّ هذا قد اعترفت به أُوربا اعترافاً صحيحاً[8].

(5) ادوارد جيبون: [1737 – 1794] مؤرخ انكليزي، ألَّف (تاريخ تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها)، الَّذي لقي استحساناً عظيماً.

(6) توماس كارليل: ولد بجنوبي اسكتلاندة سنة 1795 م، عاش ستة وثمانين سنة، قضاها في وضع التآليف الجليلة بين فلسفة وتاريخ، أشهر مؤلفاته كتاب (الأبطال)، الَّذي ترجمه إلى العربية محمد السِّباعي، ونشرته دار الكاتب العربي.

(7) إدنبرة Edinburgh عاصمة اسكتلاندة، عند مصب نهر فورث، مشهورة بجامعتها وكاتدرائيتها وصناعاتها.

(8) المثل الأعلى في الأنبياء، ص25، عن السيد خودو بَخْش، صحيفة المعهد الإسلامي ـ كلكتا.

على أن هذا الاعتراف لم يعكِّر من صفو أعداء الإسلام، طالما كان مطوياً في بطون الكتب، لا يعرفه، إلَّا القليل من أهل العلم، ولكن إسلام عدد من كبار القوم. فتَّح أعين الغربيين على دراسة الإسلام ومزاياه، وهذا أشاع الاضطراب في معسكر الحاقدين، فكان كتاب: (آيات شيطانية: Satanic Verses) لسلمان رشدي، الَّذي ظهر في وقت أزمة الغرب الماديَّة، وفي نطاق غيبة البديل الحضاري لأزمة الغرب الخانقة، نرى بعضهم يتطلَّع إلى الإسلام باعتباره المنقذ الوحيد للبشريَّة، فكان الحل عندهم تشويه (البديل المنشود)، وراح الإعلام الغربي ـ على مدى أشهر ـ يكيل المدح للكتاب لم يمحَّص أو يوثَّق أو يحلَّل، حتى وصفته الصَّندي تايمز اللَّندنيَّة بأنه «قطعة فنيَّة رائعة في شكل رواية، تعتبر أكثر طموحاً من أي عمل آخر كتب في هذه الأيَّام»[9].

والغرب أقام الدُّنيا ولم يقعدها بعد، فالأمر أكبر من سلمان رشدي وكتابه، وأكبر أيضاً من حكاية (حُرِّيَّة الرَّأي)، الَّتي لم يكن الإسلام ضدها في يوم من الأيام، فهو معها حتَّى العَظْمِ كما يقال، إنَّه مع حريَّة الإنسان في أن يقول ما يعتقد (لا إكْراهَ في الدِّينِ)؛ ولكن سلمان رشدي لم يطرح رأياً لنحترمه ونفتح باب الحوار معه، إنما تهجَّم على رسول الله ﷺ بأسلوب بذيء، وتحدَّث عن الإسلام والقرآن بطريقة مهينة، فلسنا ضد حريَّة الرأي والفكر، بل نحن ضد عدوان على مقدَّساتنا، ولقد كان من السَّهل مواجهة الكتاب بالحجَّة لو تحدث بالحجَّة، وشتان بين من يطرح فكراً بطريقة علميَّة موثَّقة، وبين من يطرح كلاماً بذيئاً وسباباً وشتائم واتهامات بطريقة فاحشة، ولن نختلف مع الغرب أو غيره حول موضوع حريَّة الفكر، بل على مصداقيته في ادعاء الدفاع عن حرية الرَّأي، فهو لا يؤمن على أية حال بحريَّة الرَّأي بالمطلق، وإلا فالقوانين الغربية تحظِّر نشر العديد من الوثائق والمعلومات

(9) كيهان العربي، العدد 1601، تاريخ 1989/3/4.

(لأسباب أمنية) أو غيرها، وتدخَّلت تاتشر شخصياً لمنع كتاب (صائد الجواسيس): (Spy Catcher) بحجَّة الضَّرورات الأَمنيَّة!!.

إن الاصطفاف العالمي خلف سلمان رشدي وكتابه، يمثِّل الحقد الغربي على الإسلام، فجعلوا من حريَّة الشَّتم، حرية الرأي والفكر، وشتان بين الحقِّ في التَّعبير الحر، والاعتقاد الحر، وبين الحقِّ في القدح والإفساد في الأرض، فمتى كانت الشَّتائم واستخدام أبذأ التَّعابير في الإساءة إلى مُقدَّسات المسلمين، مسألة خاضعة لحريَّة الرأي والمحاججة [10].

والأَمثلة التَّالية الَّتي نوردها من كتاب (آيات شيطانية) دليل على بعد سلمان رشدي عن الحقيقة العلمية الموثَّقة، وهي في الوقت أدلة قاطعة على خبث النيَّة، وسوء الطَّويَّة، وانتهاجه الخيال فيما كتب ليطرح ما يريد ضمن هدف مرسوم، في زمن معلوم.

جعل رشدي اسم رسول الله ﷺ في كتابه (Mahound) وهي تعني النبي المزيَّف، والروح الشريرة، والشيطان [11].. ووصف إبراهيم عليه السَّلام صفحة 95 بأنه ابن حرام، ابن زنى: (Bastord).

وقال عن صحابي سماه خالداً!! إنه شاذ (Monster)، ووصف سلمان الفارسي بأنه سمين العَجُز، كبير الكَفَل: (Sort of bum)، وجعل بلالاً ثالث الحثالة؛ (Seum)، [صفحة 101].

وفي صفحة 363 يتحدث رشدي عن مبادىء الإسلام الملعونة: (Damn)، الَّتي لا تنتهي حتَّى في مسك الإنسان لذكره، وبأي يد، وأية جهة،

---

(10) الوحدة الإسلاميَّة، العدد 119، تاريخ 1989/3/3.

(11) انظر قاموس CASSELLS للتعُّرف على معنى كلمة: (Mahaund)، الَّتي استعملها المبشِّرون الصَّليبيون في العصور الوسطى للإشارة إلى محمد ﷺ.

وبأي يد يمسح شرجه، وبأي وضع يلتقي بزوجه.. وبعد هذا يقول ساخراً: الإله يخطط، ومحمد رجل الأعمال الناجح (اللعين)، ربِّط أيدينا من كثرة القوانين!!!.

وفي صفحة 364 يقول: محمد لا يحب أن يَرُدَّ عليه أحد الجواب، وأسرَّ سلمان الفارسي وهو بحالة من السُّكر: محمد ليس مَلَكاً، والنِّسوة شيَّنه.

وفي صفحة 366 يقول: في غزوة الخندق مات كثير من المؤمنين (كذا)[12]، وسُمِحَ بالزَّواج من الأرامل ولو وصل العدد إلى أربع، مما نفَّر سلمان الفارسي، فترك النبي وارتد، وصارت علاقاته مع الإله بعل (Baal) يشرب معه الخمر، وقال له بعل مرَّة: أنتَ يا سلمان كنتَ من أقرب المُقَرَّبين إليه ـ إلى محمد ﷺ ـ، فماذا دهاك؟ ويجيب سلمان الفارسي: كلما كنت أقرب إلى المشعوذ (Conjurer) أدركت خدعه وحيله أكثر.

ويقول سلمان رشدي صفحة 364 ـ كاذباً مفترياً ـ لقد سمح الإسلام باللِّواطة.

ومن المضحك حقاً، مع ظهور الإفك والدَّس الرخيص، قول سلمان رشدي صفحة 364 أيضاً: قال جبريل لمحمد: ومن المستحيل أن يمشي إنسان قط على القمر: (It is impossible to walk on the moon beyond any shadow of a doubt).

أمَّا اسم الكتاب: (آيات شيطانيَّة) فقد جاء من صفحة 114 وما بعدها، يقول سلمان رشدي: (والنَّجمِ) محمد يصرخ، ويبدأ الكتبة بالكتابة: (والنَّجمِ إذا هَوَى)، ومع أن سلمان رشدي يحرِّف في ترجمة الآيات، وينسب الرؤيا

(12) الخندق (غزوة الأحزاب) شوَّال 5 هـ/ شباط 727 م، استشهد خلالها ستة شهداء من المسلمين فقط هم: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك، وعبد الله بن سهل، والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن عتمة، وكعب بن زيد.

إلى رسول الله ﷺ: رأيتُ من آياتِ ربي الكبرى، يذكر حكاية (الغرانيق) ويترجمها بعبارة الطيور العالية: (Exalted Birds).

(وحكاية الغرانيق)، و(الآيات الشَّيطانية) ليست من اختراع سلمان رشدي، لقد سبقت إليها: (الموسوعة التَّاريخيَّة للقرون الوسطى)، الَّتي أصدرتها جامعة كمبريدج، كما سبق إليها كارل بروكلمان في كتابه: (تاريخ الشعوب الإسلامية)[13]. ووردت في كتاب: (دراساتٌ تاريخية باللغة الانكليزية)[14]، تحت عنوان: (The Beginning of Opposition, The Satanic Verses)، أي: بدء المعارضة والآيات الشَّيطانية، والكاتب قطع بثبوت الرِّواية، لورودها في (تاريخ الطبري).

واستناداً إلى القرآن الكريم، والسُّنَّة، واللُّغة، والتاريخ ذاته، (حكاية الغرانيق) مرفوضة مدحوضة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِاليَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ﴾[15]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾[16].

ويرفض صاحب (الإبريز)[17] حكاية الغرنيق كليَّة، لرفض عياض وابن عربي لها، وذلك لضعف نقلتها، واضطراب روايتها، وانقطاع اسنادها، ويقول: لو أنَّها وقعت لارتدَّ ممن أسلم، وهذا ما لم يحدث، ويفسِّر الآية الكريمة التي احتجَّ بها مردِّدوه هذه الحكاية، وهي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذا تَمَنَّى أَلقى الشَّيطانُ في أُمنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقي

(13) طبع: دار العلم للملايين ـ بيروت، سنة 1965، ص 34 و 35.

(14) جامعة دمشق، كلية الآداب ـ قسم التاريخ، ص 1 – 22.

(15) الحاقَّة: 44 و45 و46.

(16) النَّجم: 3 و4.

(17) أحمد بن المبارك، طبعة: مصطفى البابي الحلبي بمصر 1961، ص 240 – 244.

الشَّيطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ الله آياتِهِ واللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[18]، بما يلي: إنَّ هذه الآية تشير إلى أن كلَّ نبيٍّ يتمنّى الإيمان لأُمّته ويحرص عليه، ونبينا من جملتهم، فقد قال اللّه تعالى فيه: ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثارِهِم إِنْ لَمْ يُؤمِنُوا بِهذا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾[19]، فالنّاس إذن قد اختلفوا ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾[20]، فأمّا من كفر فقد ألقى الشّيطان من الوساوس القادحة له في الرِّسالة فكفر، وكذا المؤمن لا يخلو من وساوس، لأنَّها لازمة للإيمان بالغيب في الغالب، فينسخ اللّهُ ما يلقي الشّيطان في قلوب أُمّة الرُّسل ويحكم آياته الدّالة على الوحدانيّة والرِّسالة، ويبقي ذلك في قلوب المنافقين والكاذبين[21].

وقد تكون قريش هي التي اختلقت حكاية الغرانيق وروَّجها المشركون، لأن خطَّتهم: ﴿وَإِنْ كَادوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذي أَوْحَينَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيرهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾[22]، لقد اختلقت قريش الحكاية ليرجع المهاجرون من الحبشة، وهم الذين فرُّوا من اضطهادها، ودليل رغبتها في عودتهم، أن وفدها إلى النَّجاشي طلب منه ردَّ هؤلاء المهاجرين إلى قومهم.

أمَّا السُّنَّة، فالنبيُّ ﷺ لم يحترم الأصنام في الجاهليَّة، إذ لـم يُعْرَف عنه أنَّه تقرَّب لصنم، بل قال: وبُغِّضَ إلي الأوثان والشِّعر، وأن عليّاً رضي الله عنه لم يسجد ولم يتقرَّب إلى صنم، فالذي أدَّبه ربُّه فأحسن تأديبه أولى به أن لا يقنع بصنم، وما همَّ ﷺ بعمل من أعمال الجاهلية قبل النُّبوَّة إلّا عصمه الله، فكيف به في الإسلام؟!.

سئل ابن خزيمة عن هذه الحكاية، فقال: من وضع الزنادقة، وقال

---

(18) الحج: 52.

(19) الكهف: 6.

(20) البقرة: 253.

(21) الإبريز، ص: 243.

(22) الإسراء: 73.

البيهقي: هذه القصَّة غير ثابتة من جهة النَّقل، ورواتها مطعون فيهم، ورواية البخاري عارية عن ذكر الغرانيق. وورد في تفسير ابن كثير الذي يعتبر حجَّة في الحديث، وتفسيره معروف أنَّه من قسم التَّفسير بالمأثور، أن حديث الغرانيق مرسل[23]، والحديث المرسل حديث سقط منه الصَّحابي، وفي مصطلح الحديث قاعدة تنصُّ على أن إرسال الحديث سبب لضعفه، فحديث الغرانيق حديث ضعيف قطعاً.

قال الإمام ابن حزم: والحديث الَّذي فيه وإنَّهن الغرانيق العُلا وأن شفاعتهن لترتجى، فكذب بحت، لأنَّه لم يصح من طريق النَّقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد[24].

أمَّا اللغة العربية، فدفعت بلفظها اللُّغوي بتحليل الشيخ محمد عبده حكايه الغرانيق، فالعرب لم يصفوا آلهتهم بالغرانيق قطعاً، لم يأت لهم في نظم، ولا في خطب، ولم يكن ذلك جارياً على ألسنتهم، ولم يستعمل الغُرْنُوق والغرْنيق إلا لاستعماله الحقيقي بكونه طائراً مائياً أسود وأبيض، واسم مالك الحزين، واستعمل لغة بشكل مجازي للشَّاب الأبيض الجميل.

ومن المعقول أنَّ النَّبيّ ﷺ ما كان يصلي عند البيت في بدء الدعوة إلَّا في أوقات الخلوة، ولشدة عداوة قريش ما كانوا يتركونه ليقرأ القرآن وهم يسمعون، وورد أن الصحابة كانوا يذهبون إلى شعاب مكَّة للاجتماع والصلاة خشية من إيذاء قريش لهم، واطَّلع عليهم نفرٌ من سفهاء قريش فناكروهم وعابوا عليهم دينهم فاقتتلوا.

ومن النَّاحية التَّاريخية: أمسك المبشِّرون وبعض المستشرقين ـ كما يقول

---

(23) ابن كثير: 229/3 – 230.

(24) الإسلام بين الانصاف والجحود، ص: 69 – 72.

المرحوم عمر فروخ ـ[25] بهذه الرواية، وزعموا أنَّ الرَّسول ﷺ إنَّما فعل ذلك لمَّا قاومه مشركو مكَّة، فأحبَّ أن يتقرَّب منهم، فمدح آلهتهم فعدُّوا هذا تراجعاً عن تشدُّده في التَّوحيد ومهاجمة الأصنام، ولقد وجدت ـ القول للدكتور فروخ ـ أنَّ أحسن ردٍّ على هذه الفرية ما ذكره العالم الهندي مولانا محمد علي[26]، قال: إن هذه الرِّواية وردت عند الواقدي وعند الطبري، ومع ذلك فإنَّها لا ظل لها من الحقيقة، فإن كلَّ عمل من أعمال رسول الله ﷺ مناقض لمثل هذا الاتجاه، أضف إلى أن الواقدي معروف بسرد الاسرائيليات والخرافات، وفي وَفَيات الأعيان بحق الواقدي: وضعَّفوه في الحديث وتكلَّموا فيه[27]. وقال الشافعي: كتب الواقدي كلُّها كذب.

والطَّبري في (تاريخ الرُّسل والملوك) يورد حكاية الغرانيق[28]، وفات من يتمسَّك بهذه الرواية، الطريقة الَّتي سار عليها الطَّبري في كتابه، وهي طريق المحدِّثين، بأن يذكر الحوادث مروية بمقدار ما عنده من الطُّرق، ويذكر السَّند حتَّى يتَّصل بصاحبه. ولا يبدي في ذلك رأياً في معظم الأحيان، وهذه الطريقة هي الَّتي سلكها في معظم الكتاب، وقد كان اعتماده هذا المنهج مثاراً للنقد عند بعض الباحثين، فقالوا: إن سياق الأخبار دون تمحيصها أمر لا يليق بالمؤرِّخ النَّاقد البصير[29]، وربما كان عند الطبري في ذلك هو عذر رواة الحديث، فيذكرون الحديث بطرقه ورجاله، تاركين الحكم للقارىء، أمانة للعلم وإبراء للذِّمَّة، قال الطبري في مقدِّمة كتابه: «وليعلم النَّاظر في كتابنا أن اعتمادي في كلِّ ما أحضرتُ ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه، والآثار

---

(25) هامش ص : 25، تاريخ الشُّعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، طبعة 1965 ـ بيروت، دار العلم للملايين.

(26) The Holy Quran Second Editior. Lahore 1920. P.1016 note 2382.

(27) وَفَيات الأعيان، لابن خَلِّكان: 348/4.

(28) تاريخ الرُّسل والملوك: 338/2 – 340، طبعة دار المعارف بمصر ,١٦٩١.

(29) المرجع السَّابق، الجزء الأوَّل، ص 25.

الَّتي أنا مسندها إلى رواتها، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلاَّ اليسير القليل منه، إذ كان العلم بأخبار الماضيين، وما هو كائن من أبناء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلاَّ بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضيين، مما يستنكره قارئه، أو يستشنقه سامعه، من أجل أنَّه لم يعرف له وجهاً من الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنَّه لم يؤتَ في ذلك من قبلنا، وإنَّما أتى في بعض ناقليه إلينا، وأنَّا إنما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا..»[30].

هذا.. على أننا لو رجعنا إلى رواية محمد بن إسحاق، أو إلى صحيح البخاري، وهو الَّذي لم يغادر من حياة الرَّسول ﷺ شيئاً إلاَّ ذكره، لم نَرَ لقصة الغرانيق أثراً، وابن إسحاق جاء قبل الواقا ي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ/ ٨٢٣ م بأربعين سنة، وقبل الطبري بنحو مائة وخمسين سنة أو تزيد. أمَّا البخاري فقد كان معاصراً للواقدي، ومع ذلك لم يذكر هذه القصة.

وأخيراً.. من الخصال الممقوتة عند المستشرقين والمبشِّرين، الطريقة الطَّريفة في تقرير الوقائع، لأنَّهم يعلمون أنَّه لا يمكنهم الاستناد إلى حقائقٍ ثابتة في التَّاريخ، وعندهم أن للتكـرار قوَّة تعادل قوة الدَّليل، فتراهم يرددون الدَّعاوى ويتجاهلون الحقائق الَّتي تدحضها، ويرون ذلك وسيلة كفيلة بإقناع الألوف من السُّذَّج، فاتخذوا ذلك شرعة لهم ومنهاجاً، يخدعون الجمهور لكي يصلوا إلى الغاية المنشودة، يقول اللورد مِدْلي: «وإليكَ بيان الطريقة الَّتي دأبوا عليها في نقد الديانات الأُخرى: يشير أحدهم إلى فكرة ما من طرفٍ خفي، ويليه آخر فيقرر أن هذه الفكرة جائزة، ويأتي الثالث فيرفع هذا الجواز إلى مرتبة النَّظريَّة، وأمَّا الرَّابع فيخلق من النظرية حقيقة، وهكذا تتطوَّر الفكرة أربعة

(30) مقدِّمة المرجع السَّابق، ص: 7 و8.

أطوار أو خمسة، حتَّى ينتهي بها المطاف إلى أن تصبح حقيقة مقرَّرة، وبخاصَّة إذا كان الأمر يمس إحدى الديانات أو المدينات التي يتوفرون على نقدها»[31].

ولقد قيل: الرواية التاريخية، هي تسجيل لحياة الإنسان، ولعواطفه، ولانفعالاته في إطار تاريخي، ومعنى ذلك أنَّها تقوم على عنصرين اثنين:

- الميل إلى التاريخ، وتفهُّم روحه وحقائقه.

- وفهم الشخصيَّة الإنسانية، وتقدير أهميتها في الحياة[32].

لقد اعتمد سلمان رشدي أسلوب الرواية التاريخية، ليسرح في خياله ما شاء، مع أن الخيال المسموح به في القصة التَّاريخيَّة، يجب أن لا يتَّصل بالشخصيات الرئيسة، أو بالأحداث الكبرى، وكلُّ قول يجريه مؤلف القصة التَّاريخية على لسان أحد أبطال روايته، ولبس له سنده التاريخي، أو نصُّه ليس في المراجع أو المصادر المعتمدة، يُحْسَب على المؤلف قولاً واحداً بإجماع الآراء، وعلى هذا فكل ما قدمه سلمان رشدي في روايته الشَّيطانيَّة محسوب عليه قطعاً، ومع إدانتنا للرِّواية والمؤلف معاً، ندعو العالم الغربي إنطلاقاً من احترام العقل والعلم والمقدَّسات والقيم الأخلاقية أن يقول كلمته العلمية الموضوعية الواضحة في سلمان رشدي وروايته الخيالية، ونهيب بالمعاهد العلمية، ومراكز البحوث أن تقول كلمتها بدا قدمه رشدي إنصافاً للحقيقة ليس غير، ونذكر رشدي - ومن وراءه - بما يلي:

شتان بين حريَّة الرأي والبحث، وحريَّة الافتراء والخبث.

---

(31) المثل الأعلى في الأنبياء، ص 28.

(32) انظر فصل (الرِّواية التَّاريخيَّة) من كتاب: جرجي زيدان في الميزان، وانظر: (فن القصة) د. محمد يوسف نجم، نشر دار الثقافة - بيروت، و(منهج البحث التاريخي) د. حسن عثمان، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، 1970، و(في الأدب الحديث) عمر الدَّسوقي، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي، 1959.

وشتان بين الحقائق التاريخية الموثّقة والرّواية الخياليّة المُلَفَّقة.

وشتان بين البحث العلمي المدَّعم بالبرهان، ورواية الخيال المليئة بالإفك والبهتان.

يقول عزَّ وجلَّ في محكم التَّنزيل: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[33].

صدق اللّه العظيم، والحمد لله ربِّ العالمين أوّلاً وآخراً.

(33) التَّوبة: 109 و110.